منهج الدعوة فى ضوء القرآن والسنة
وسبيل تجديده وتحديثه

دكتور/ محمود عبد الخالق حلوة
مدرس الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن الله عز وجل قد اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس على مر العصور والأزمان ، منذ خلق سيدنا آدم والى أن بعث سيدنا محمد عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام ، وأرسلهم الله تعالى بالهدى ودين الحق ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، وليبينوا لهم طريق الخير من الشر ، والهدى من الضلال ، والحق من الباطل ، فمن الناس من آمن ومنهم من كفر ، وقد وعد الله المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالحياة الطيبة فى الدنيا والجزاء العظيم فى الدار الآخرة ، قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1] ، وتوعد غير المؤمنين بالمعيشة الضنك فى الحياة الدنيا والعذاب فى الآخرة ، ، فقال تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طـه:١٢٤).

وقد أمر الله تعالى جميع رسله بالتلطف واللين مع أقوامهم عند دعوتهم للإيمان بالله تعالى ، وقد سلك الرسل جميعاً هذا المنهج السوى الذى بنى على اللين والرأفة والرحمة والتلطف مع أقوامهم وهم فى كل ذلك يرجون لهم الهداية والنجاة والفلاح وما دعا نبى على قومه إلا بعد أن يئس منهم لإصرارهم على الكفر وعدم استجابتهم وما نزل العذاب بقوم إلا بعد تبجحهم وإجرامهم والعدوان على من أرسل الله إليهم ، بل ومجاهرتهم بالكفر ومعصية الرسول ، كل ذلك والله تعالى يمهلهم ويأمر الرسل بالصبر والتحمل عند دعوة أقوامهم ، وسمىّ الله عز وجل رسله الذين صبروا وتحملوا الأذى الكثير بأولى العزم فقال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ)[2] .

---

(١) الآية ٩٧ من سورة النحل .

(٢) الآية (٣٥) من سورة الأحقاف ، وهى آخر آية فى السورة .

وأولوا العزم من الرسل : هم الذين صبروا على عظيم ما لقوا من المكاره والأذى والشدائد من أقوامهم فلم تزدهم المحن إلا جدّا فى أمر الله كـ (نوح ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى،ومحمد صلى الله عليه وسلم)[١] .

وقد أمضى الله عز وجل فى الأمم السابقة حكمه ، فنجى الله تعالى رسله والمؤمنين معهم كما بيّن ذلك فى قوله تعالى (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)[٢] .

وأهلك الله المجرمين ومحقهم ، نصراً لرسله ، وتأييداً لهم ، وتثبيتاً لقلوبهم ، قال تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[٣] .

هذا ، ولما كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامة للناس جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقد اتسعت دائرة اللين ، والتلطف ، والرأفة والرحمة بما منحه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وما أودعه فى قلبه من لين ورأفة ورحمة مما كان سبباً فى التفاف المسلمين حوله حيث قال سبحانه (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[٤].

وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[٥] ، ومن المعلوم أن العالمين هم كل خلق الله والله تعالى هو رب العالمين .

وقد اصطفى الله تعالى أنبياءه ورسله من بين خلقه وحلاهم بمكارم الأخلاق وجميل الصفات ، وخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٦].

واقتضت حكمة الله عز وجل حين أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليه أن يجعل للدعوة إليه سبحانه وتعالى أسلوباً ومنهجاً يتناسب وجميع الأفراد فى مختلف العصور والأزمان إلى يوم القيامة مما

---

(١) يراجع مختصر من تفسير الإمام الطبرى ص ٥٠٦ تفسير سورة الأحقاف .
(٢) الآية (١٠٣) من سورة يونس .
(٣) الآية (١١٠) من سورة يوسف .
(٤) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .
(٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .
(٦) الآية (٤) من سورة القلم .

يدل دلالة واضحة على أن هذا الدين بشرعته ومنهاجه صالح لكل زمان ومكان ، وقد حدد الله تعالى أسلوب الدعوة إليه والمنهج الذى يجب أن يسلك فيها فى قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[١] ، وقال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين-واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)[٢] .

ومع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث إلى أمة أمية قست قلوب بعض افرادها حتى صارت كالحجارة او أشد قسوة ، نعلم ذلك من معاملتهم للنبى صلى الله عليه وسلم واعتدائهم عليه وعلى المسلمين معه ، إلا أن الله عز وجل منح نبيه صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة واللين والخلق العظيم ، فوسعت أخلاقه العظيمة الناس جميعا ، أهل العقل منهم وأصحاب الجهالة ، وكان يعز عليه عنادهم ويحرص كل الحرص على هدايتهم ، قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)[٣] .

وعلماء الأمة الإسلامية وفقهاؤها من عصر النبوة الكريم وبدءا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يومنا هذا يعلمون يقينا أن فى هذا الدين الحنيف سعادة البشرية كلها ، وأن سماحة هذا الدين ويسره ، وما جاء فيه من أخلاق ونظم ومعاملات ، وعلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض ، او بين المسلمين وغيرهم ممن ليسوا من أهل الإسلام ، قائم كل هذا على منهج قويم أمر به الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[٤] .

وقد وضع الحق تبارك وتعالى ضابطا لذلك لا يجوز لأى مسلم أن يخالفه او يتعداه ، حتى لا يكون سببا فى تطاول اى من عباد الله على الله عز وجل ، فقال تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه (اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين- ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل-

---

(١) الآية (١٢٥) من سورة النحل .
(٢) الآيتان (٢١٤-٢١٥) من سورة الشعراء .
(٣) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .
(٤) الآية (١٢٥) من سورة النحل .

وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[١] .

فهذا المنهج القويم الذى وضعه الله تعالى للدعوة إليه يجب أن يلزمه كل مسلم ولا يحيد عنه ، وأن يتلطف فى دعوة الناس إلى الله ، منفذاً قول الله عز وجل (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)[٢] وقوله سبحانه (فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[٣] وقوله سبحانه (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ- لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)[٤] وقوله سبحانه (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[٥] .

وإذا كان القرآن الكريم قد وضع هذا المنهج القويم فى الدعوة إلى الله ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب واللائق ، أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة واللين فى القول ، فإن السنة النبوية المطهرة ذاخرة بما يوضح ويبين لنا هذا المنهج القويم ، فأقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية ، تمثل واقعاً عملياً لهذا المنهج السوى الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين وأمرهم باتباعه حتى لا يضلوا ، والذى طالبهم فيه بفهم مقاصد الشريعة وأهدافها ، وذلك بنقل العلم الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ، وفهمه أيضاً الفهم الصحيح الذى تتجلى به مقاصد الشريعة وأهدافها وذلك فيما رواه عنه كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضى الله عنهم ، فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه "

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع " [٦] .

---

(١) الآيات (١٠٦-١٠٧-١٠٨) من سورة الأنعام .
(٢) جزء من الآية (٨٣) من سورة البقرة .
(٣) الآية (٤٤) من سورة طه .
(٤) الآيتان (٢١-٢٢) من سورة الغاشية .
(٥) الآية (٩٩) من سورة يونس .
(٦) الحديث أخرجه كل من الأئمة :
أبو داود : فى كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ٦٢٣/٢ .

كما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الغلو فى أمر الدين ، وبين صلى الله عليه وسلم أن الدين يسر ، فقد أخرج الإمام البخارى رحمه الله ، فى كتاب الإيمان باب الدين يسر ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة[١].

وقد قال الحافظ الإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى فى بيان معنى هذا الحديث "والمشادة بالتشديد المغالبة ، يقال شاده يشاده مشادة إذا قاواه والمعنى : لا يتعمق أحد فى الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب ، قال ابن المنير : فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع وليس المراد منع طلب الأكمل فى العبادة فإنه من الامور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملال ، أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل ، أو إخراج الفرض عن وقته ، كمن بات يصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام عن صلاة الصبح فى الجماعة ، أو إلى ان خرج الوقت المختار ، او إلى ان طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة[٢] اهـ.

الترمذى : فى كتاب العلم ، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع ٦٧٧/٦٧٦/٢ .
ابن ماجة : فى المقدمة ، باب من بلغ علما ، ص ٣٨، ٣٩ .
الدارمى : فى المقدمة ، باب الاقتداء بالعلماء ٧٦/٧٥/١ .
أحمد بن حنبل : فى حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه ١٨٣/٥ ، وفى مسند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ٤٣٧/١ ، وفى حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه ٨٢/٨٠/٤ .

(١) الحديث أخرجه أيضا النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه باب الدين يسر عن أبى هريرة ٨١٥/٢هـ ط المكنز وهو فى صحيح البخارى ١٣/١ ط المكنز.

(٢) يراجع فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ١١٧/١ ط السلفية .

أسباب الغلو فى أمر الدين

وهذا الغلو فى أمر الدين إنما ينشأ نتيجة لعوامل كثيرة منها:-

١ - جهل الشخص المتغالى بأمور دينه وعدم معرفته بها معرفة صحيحة.

٢- عدم فهمه للنصوص الشرعية فهماً صحيحاً يتفق ومقاصد الشريعة السمحة مما يترتب عليه تحميل النصوص الشرعية فوق ما تحتمل من معان وأحكام وذلك لاقتصاره على نص يوهم ظاهرة حكماً ، وعند جمع بقية النصوص يختلف الحكم تماماً .

٣- الانتصار لأراء وأفكار لا تعبر مطلقاً عن سماحة الإسلام وسمو مقاصدة ،وهذا ناشئ عن غلو فى الفهم ، حتى ولو خالف فى غلوه إجماع علماء المسلمين .

لذا فإنى اتناول بمشيئة الله تعالى فى هذا البحث ما يتعلق بمنهج الإسلام فى الدعوة إلى الله تعالى ، والخطاب الدينى من منظور الكتاب والسنه والسبيل إلى تحديده وتحديثه، ومبيناً إن شاء الله بالوقائع والأحداث والأقوال الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ما يوضح لنا هذا المنهج القويم .

والله أسأل أن يلهمنى الرشد والصواب وأن يجنبنى الزلل وأن يرزقنى حسن الخلق فى كل ما أقول وأفعل ، وأن يهبنى من فضله زيادة علم وفهم ، رب زدنى علماً ، كما أسأله تعالى أن يغفر لى ولوالدى ولمشايخى ولأصحاب الحقوق على ، وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه : "لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٨٦) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول:

ويتضمن :

١- المقصود بمنهج الدعوة والمراد بتجديده وتحديثه.

٢- بيان معنى حديث النبى صلى الله عليه وسلم " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

٣- النبى صلى الله عليه وسلم يستوثق لنفسه قبل أن ينذر قومه وعشيرته، وبيان مبلغ وثوق قومه به ومع ذلك فقد آذوه وأصحابه.

الفصل الأول

المقصود بمنهج الدعوة والمراد بتجديده وتحديثه .

لعل أقرب فهم للمقصود بمنهج الدعوة من حيث التجديد والتحديث هو قيام علماء الإسلام ببيان احكام الدين وشرائعه والمقاصد النبيلة التى جاء الدين من أجلها بياناً صحيحاً بالأسلوب الأمثل ، والمشتمل على أدب الحديث ، والمستقى من كتاب الله تعالى ، ومن أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهجه فى الدعوة إلى الله تعالى .

وقد يظن بعض الناس أو يتوهم أن تجديد منهج الدعوة وتحديثه معناه التساهل فى الأحكام الشرعية ، أو التفريط فى بعضها ، وهذا فهم خاطئ ، لان المراد بتجديد منهج الدعوة وتحديثه إنما هو معرفة أسرار هذا التشريع الحكيم والوقوف على مقاصده النبيلة ، واهدافه السامية ،وفهم ذلك كله فهماً صحيحاً ، وتعليمه للناس بالأسلوب الأمثل الذى جاء به القرآن الكريم ، وطبقه النبى صلى الله عليه وسلم خلقية كانت أو خلقية.

وقد أصبح هذا الأمر ملحاً وضرورياً بعد أن تغالى بعض الناس فى فهم النصوص الشرعية وحملوها مالا تحتمل من أحكام ، وصار لزاماً على علماء الأمة أن يشمروا عن ساعد الجد ، وأن يبينوا للناس أمور دينهم ، بل وأصبح الناس فى حاجة إلى من يجدد لهم أمر دينهم .

وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى وأكده ،وبين أن الله تعالى يتدارك هذه الأمة بلطفه ورحمته فيبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها من العلماء العاملين والأئمة المجتهدين.

فقد أخرج الإمام أبو داود السجستانى فى سننه ، والإمام الطبرانى فى معجمه الأوسط ،والإمام الحاكم فى مستدركه على الصحيحين ، كلهم من طريق ابن وهب ، عن سعيد بن أبى أيوب ، عن شراحيل بن يزيد المعافرى عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" وقد علق الإمام شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى على هذا الحديث وحكم بصحته بعد أن تناول هذه الروايات بالبيان.

ولمزيد الإيضاح أذكر نص هذه الروايات من مصادرها الأصلية ثم تعليق الإمام السخاوى عليها وبيانها كالتالى: قال الإمام أبو داود

السجستانى رحمه الله فى كتابه السنن ، كتاب الملاحم باب ما يذكر فى قرن المائة" .

حدثنا سليمان بن داود المهرى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى سعيد ابن أبى أيوب ، عن شراحيل بن يزيد المعافرى عن أبى علقمة، عن أبى هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" قال أبو داود : رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندرانى ، لم يجز به شراحيل .

٢- وقال الإمام أبو القاسم الطبرانى ، فى كتابه "الجامع الأوسط ،حدثنا محمد بن رزيق بن جامع ، ثنا عمرو بن سواد السرحى ثنا ابن وهب ، اخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن شراحيل بن زيد المعافرى عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (ولا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن وهب.

٣- وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم فى كتابه المستدرك على الصحيحين : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا الربيع بن سليمان ابن كامل المرادى ، ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن شر جبيل بن يزيد ، عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ولا أعلمه إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. هذه هى الروايات الثلاث من مصادرها الأصلية[1] وقد أورد الإمام السخاوى رحمه الله هذا الحديث فى كتابه المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة وعلق عليه فقال رحمه الله : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وأبو داود فى الملاحم من سننه ، من حديث أبن وهب ، أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافرى عن أبى علقمة واسمه مسلم بن يسار الهاشمى عن أبى هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا ، فقال بعده : رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندرانى عن شراحيل فلم يجز به شراحيل ، يعنى عضله .

---

[1]) يراجع كتاب سنن أبى داود ٧١٥/٢ط المكنز الإسرامى والمعجم الأوسط للطبرانى ٤٠٥/٦ حديث ٦٥٢٧ ط دار الحديث بالقاهرة والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٢٢/٤ ط دار الكتاب العربى بيروت .

وقد اخرجه الطبرانى فى الأوسط كالأول وسنده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات ،وكذا صححه الحاكم فإنه اخرجه فى مستدركه من حديث أبـن وهب ثم قال الإمام السخاوى ، وسعيد الذى رفعه أولى بالقبول لأمرين :

احدهما : أنه لم يختلف فى توثيقه بخلاف عبد الرحمن فقد قال فيـه ابـن سعد : إنه منكر الحديث .

والثانى : أن معه زيادة علم على من قطعه .

وقوله : فيما أعلم ، ليس بشك فى وصله ،بل قـد جعـل وصلـه معلوماً له اهـ وهكذا نرى الإمام السخاوى يرجح رفع الحديث وصحتـه ثم علق الإمام السخاوى على هذا الحديث قائلاً وقد اعتمـد الأئمـة هـذا الحديث ، فروينا فى المدخل للبيهقى بإسناده إلى الامام أحمد أنه قال بعـد ذكره إياه .

فكان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى الثانية الشـافعى ، ثم ذكر الإمام السخاوى أن غير الإمام أحمد زاد على ما ذكـره الإمـام أحمد بالنسبة للقرون التى بعد ذلك ، ثم قال :

قال العماد ابن كثير : وقد ادعى كل قوم فى إمامهم أنـه المـراد بهذا الحديث ، والظاهر والله اعلم انه يعم حملة العلم من كل طائفة ، وكـل صنف من أصناف العلماء ، من مفسرين ومحدثيـن ، وفقـهاء ، ونحـاة ولغويين ، والى غير ذلك من الأصناف والله اعلم[1].

هذا وقد تتبعت أسانيد الكتب الثلاث بالبحث والدراسة فتبيـن لـى صحه هذه الأسانيد من تراجم اصحابها .

* فأبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثقة وترجمته فـى تذكـره الحفاظ للذهبى ٣/٨٦٠.
* والربيع بن سليمان بن كامل المرادى ، ثقة ، وترجمته فى تـهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ٣/٢٤٥.
* وعبد الله بن وهب ، ثقة وترجمته فى تهذيب التهذيب ٦/ ٧١ .
* وشراحيل بن يزيد المعافرى ، وثقة ابن حبان كما قال الحافظ بـن حجر ، وترجمته فى تهذيب التهذيب ٤/٣٢٠.

---

(١) ينظر المقاصد الحسنه للإمام السخاوى ص ١٢١ / ١٢٢.

* وأبو علقمة المصرى ، مولى بنى هاشم ، قال أبو حاتم : أحاديثـه صحاح ، وذكره بن حبان فى الثقات ، وقال العجلـى : مصـرى تابعى ثقة ، وله ترجمة فى تهذيب التهذيب ، ١٢/١٣٧ .
* وعمرو بن سواد السرحى ، ثقة ، وله ترجمة فى تهذيب التـهذيب ٨/٤٥ .
* وسليمان بن داود المهدى ، ثقة ، وله ترجمة فى تهذيب التـهذيب ٤/١٨٦/١٨٧ .

وهؤلاء الذين تتبعت تراجمهم هم كل الرجال الذين ذكـروا فـى إسناد الحديث فى هذه الكتب .

وإن كان الإمام السخاوى رحمه الله تعالى قد كفانا مؤونة البحـث وذكر أن الحديث صحيح وأن الأئمة قد اعتمدوا هذا الحديـث فقـد أردت بتتبعى لسند الحديث أن أعلم القارئ أن العلماء السابقين رحمهم الله كـانوا لا يطلقون الكلام على عواهنه او يلقون بالأحكام جزافا وإنما كـانوا فـى غاية الدقة ، بل وأردت بهذا أن أنبه إلى أن الإمام السـخاوى رحمـه الله تعالى قد أعتمد توثيق ابن حبان لشراحيل بن يزيد المعافرى حيـث حكـم بالصحة على إسناد أبى داود السجستانى ، وبالصحة على إسناد الطـبرانى حيث قال : وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط كالأول - اى كالإسناد الأول لأبى داود - وسنده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات فحكم بصحـة السـند ، وبأن الرجال كلهم ثقات .

وإذا قلنا إن المراد بتجديد الخطاب الدينى إنما هو معرفة أسـرار هذا التشريع الحكيم ، والوقوف على مقاصده النبيلة ، وأهدافـه السـامية وفهم ذلك كله فهما صحيحا ، وتعليمه للناس بالأسلوب الأمثل الذى جـاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فإنه من الواضح أنه لا يستطيع القيام بهذه المهمة إلا العلماء الذين أعدوا لذلك إعدادا خاصا حتـى يفـهم الناس أمور دينهم على الوجه الصحيح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلـك في قول الله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعـوا إليـهم لعلـهم يحذرون)[1] ، فجعل الله عز وجل التفقه فى الدين والإعداد للدعوة إلـى الله أولا ، ثم قيام هؤلاء الدعاة بتعليم الناس بعد ذلـك ، أمـا قبـل أن يعـد الداعيةإلى الله إعدادا جيدا وقبل فهمه لأمور دينه فهما صحيحا ، فإنـه لا

---

(١) الآية (١٢٢) من سورة التوبة .

يحق له أن يتصدر لذلك بل ويجب ألا يمكن منه حتى لا يضل الناس بغير علم .

فإذا توفرت الثقة فى الداعية إلى الله عز وجل من جهة علمه وفهمه لأحكام الشريعة فهما صحيحا ، فإنه يجب عليه أن يكون قدوة للناس وأسوة حسنة لهم فى الصدق والأمانة وحسن الخلق فيقبل قوله وتثمر دعوته ، بل ويكون حاله فى الناس من امتثاله أوامر الله ، وبعده عما نهى الله عنه مثل دعوته بل ربما كان أبلغ ، ولهذا قالوا : حال رجل فى ألف رجل أبلغ من وعظ ألف لرجل ، ومعنى هذا القول أنه متى عرف الإنسان بصدقه وأمانته وامتثاله أوامر الله ، وبعده عما نهى الله عنه فإن الناس يقتدون به ويقبلون نصحه متى نصحهم ، ولهذا قال الله عز وجل (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[1] .

وقد نعى الله تعالى كل سلوك وفعل يخالف قول، صحابه فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ-كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)[2] .

وهذا الذى يخالف فعله قوله هو الذى تنفر الناس منه ولا يقبلون منه نصحا ولا إرشادا ، بل ينقلبون عليه ويطالبونه بأن يكون فعله مطابقا لنصحه ، فلا تثمر دعوته ، سواء كان رجلا واحدا او ألف رجل على هذه الأخلاق المرذولة حتى ولو كانوا جميعا ينصحون رجلا واحدا ، فالداعية المستقيم تثمر دعوته حتى ولو كان فردا واحدا ، وغير المستقيم لا تثمر دعوته حتى ولو كانوا ألف رجل يتولون وعظ رجل ، وهذا ما نبينه إن شاء الله عند تتبع مراحل الدعوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد لحاقه بالرفيق الأعلى .

النبى صلى الله عليه وسلم يستوثق لنفسه قبل أن ينذر قومه وعشيرته وبيان مبلغ وثوق قومه به ومع ذلك فقد آذوه وأصحابه:

اشتهر النبى صلى الله عليه وسلم بصدقه وأمانته حتى لقب بالصادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فإن النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يدعو قومه إلى الإيمان بالله تعالى أراد أن يستوثق لنفسه بما

(١) الآية (٣٣) من سورة فصلت .
(٢) الآيتان (٢،٣) من سورة الصف .

يبديه أهله وعشيرته من رأى فيه حتى يستطيع أن يقيم الحجة عليهم متى أبدوا رأيهم فيه ، أخرج الإمام البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

لما نزلت "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهد ، يا بنى عدى ، لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ ، قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ، فنزلت " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ-مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ " [1] ، ومن هنا يمكن القول بأن حال النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان عليه من الصدق والأمانة حتى أنه اشتهر بين الناس بالصادق الأمين كان أعظم داع لاتباع قومه له ولكن قريشا ناصبت رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء ووقفوا فى وجه الدعوة الإسلامية وظلوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين عاما حتى فتحت مكة المكرمة ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصبر على هذا الأذى هو وأصحابه الكرام ، وأسوق هنا بعض الأمثلة لهذا الأذى الذى لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، والذى قابله النبى صلى الله عليه وسلم بالصبر ، والتحمل رجاء أن يهديهم الله عز وجل ، فقد كان ذلك هو مطلب النبى صلى الله عليه وسلم حين دعا فقال : اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون .

وإنما قصدت بسوق هذه الأمثلة التعرف على الكيفية التى واجه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المواقف ليكون ذلك منهجا وسلوكا يلزمه كل من يسلك سبيل الدعوة إلى الله ، أخرج الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما واللفظ لمسلم ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان فيأخذه ، فيضعه فى كتفى محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم - عقبة بن أبى معيط - فأخذه ، فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا

(١) يراجع صحيح البخارى ٩٨٢/٢ كتاب التفسير ، باب "وأنذر عشيرتك الأقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " ألن جانبك .

وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ، فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ، ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال : اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وعقبة بن ربيعة ، وشبية بن ربيعة ، والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط ، (وذكر السابع ولم أحفظه) فوالذى بعث محمدا بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر[1] .

ويروى الإمام البخارى رحمه الله تعالى حادثة أخرى توضح لنا مدى الأذى الذى تعرض له رسول الله صلى عليه وسلم من هؤلاء المجرمين الذين وصفهم الله تعالى فى قوله " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا " ، فيروى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص ، أخبرنى بأشد شئ صنعه المشركون بالنبى صلى الله عليه وسلم قال :

" بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب " [2] .

فهذان حادثان فقط مما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهذان الحادثان صاحبهما شخص واحد هو أشقى الناس عقبة بن أبى معيط لعنه الله ، وبقية هؤلاء المجرمين صناديد الكفر وعتاولته أبو

---

(١) ينظر صحيح البخارى ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة ٢/٧٥٧ ، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ٢/٧٨٤/٧٨٥ من عدة طرق .

(٢) ينظر صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ...إلخ ، ٢/٧٥٨ .

جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وغيرهم كثير لم يسلم النبى صلى الله عليه وسلم من شرورهم وإجرامهم ، بل إن هؤلاء المجرمين كانوا يصبون العذاب على المسلمين صبا حتى مات من مات منهم من شدة تعذيب الكفار لهم واعتدائهم عليهم كما بينت كتب السيرة وذكرت ذلك بالتفصيل .

وأنقل بعض هذه النصوص التى تبين لنا سماحة الإسلام ورأفة النبى صلى الله عليه وسلم ورحمته بالمؤمنين من كتاب " السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة " لفضيلة أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى ، كما توضح قسوة قلوب المشركين .

يقول : إن ما وعاه التاريخ الصادق مما كان يلاقيه المسلمون الأوائل من صنوف البلاء والعذاب قد بلغ من الروعة ، والجلال ، وعزة النظير ما يعتبر عند بعض الناس ضروباً من الخيال ، ولكنها الحقيقة التى لا ريب فيها ، إن الإنسان ليغض الطرف حياء ، ويحمر وجهه خجلا حينما يستعرض هذه المواقف البطولية الفذة التى سمت بأصحابها إلى درجات سامقة من السمو الدينى والخلقى ، والنفسى وإليك طرفا من حديث هؤلاء القوم - ثم يستطرد الحديث تحت عنوان - المعذبون فى الله

فيقول : فمن هؤلاء السادة الأبطال بلال بن رباح الحبشى ، وكان اسم أمه حمامة ، وكان مولاه أمية بن خلف الجمحى قاسى الكبد غليظ القلب لا ينبض قلبه بقطرة من الرحمة الإنسانية ، كان يخرجه إلى بطحاء مكة إذا حميت الشمس فى الظهيرة ، والرمضاء فى هذا الوقت تكاد تنضج اللحم الطرى ، ثم يأمر الصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا - والله - لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وتعبد اللات والعزى ، ولكن بلالا لا يعبأ بالآلام ولا بالبلاء ، ويأبى إلا أن يعلن عن صادق إيمانه ، فلا ينفك يردد ويقول : أحدٌ أحد ، فتمتزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان ، فإذا حلاوة الإيمان تطغى على مرارة العذاب ، وكان يقول : لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها ، وقد هانت نفس بلال عليه فى الله فتحمل ما تحمل بقلب مؤمن ، ونفس راضية مطمئنة ، حتى صار مثلا يحتذى .

ويمر به الصديق أبو بكر رضى الله عنه فيقول لأمية : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ فيرد عليه أمية : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى ، فيقول الصديق : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ، قال : قد قبلت ، فقال : هو لك فأعطاه

سيدنا أبو بكر رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذ بلالا فأعتقه لوجه الله تعالى .

ثم يقول رحمه الله تعالى :

وهذه الأسرة الياسرية : عمار بن ياسر ، وأبو ياسر وأمه سمية بنت خباط مولاة أبى حذيفة بن المغيرة ، وكان ياسر حليفا له ، فزوجه سمية ، فولدت له عمارا فأعتقه وكان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، ويلبسونهم دروع الحديد المحماة بالنار ، فما وهنوا ولا استكانوا ، وكان يمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون ، فما يملك لهم إلا أن يحثهم على الثبات والصبر فيقول " صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " ولما اشتكى له عمار قائلا : يا رسول الله بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال له صلى الله عليه وسلم " أصبر أبا اليقظان اللهم لا تعذب من آل ياسر أحدا بالنار" ومر أبو جهل اللعين بسمية ، وهى تعذب فى الله ، فطعنها بحربة فى ملمس العفة منها فماتت ، فكانت أول شهيدة فى الإسلام ثم لم يلبث أبوه أن توفى تحت وطأة العذاب.

ويطول العذاب بعمار حتى لا يدرى ما يقول ، فيظهر كلمة الكفر على لسانه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، ويجئ عمار - وهو يبكى - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما وراءك ، قال : شر يا رسول الله ، نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف وجدت قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول له : " إن عادوا لك فعد لهم بما قلت " ولهج بعض الناس بأن عمارا كفر، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى صدع بالحق فقال : " كلا ، إن عمارا ملئ إيمانا من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه ، وأختلط الإيمان بلحمه ودمه " ثم ينزل الوحى بشهادة السماء على صدق إيمان عمار ، قال تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[1] ، فكانت الآية إعذارا لهؤلاء المعذبين فى الله بأن لا حرج عليهم إن جاروا الكفار بطرف اللسان ، ما

(1) الآية (١٠٦) من سورة النحل .

دام القلب عامرا بالإيمان ، ورخصة يترخص بها من خاف على نفسه الهلاك ، انتهى بتصرف يسير [1] .

وتعليقا على ما ذكره فضيلة الشيخ الجليل رحمه الله أقول :

إن فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى قد ذكر أحداثا كثيرة فى هذا المجال لمن أراد الرجوع إليها ، ولكن المقصود من ذكر مثل هذه النصوص إنما هو تناولها بالشرح والتحليل حتى نتبين سماحة الإسلام ونبل أهدافه ومقاصده ، وسأتناول فى هذا النص أمرين : الأمر الأول : أنه جاء فى هذا النص أن أمية بن خلف عذّب بلالا رضى الله عنه عذابا لا يطاق ولا يحتمل ، حتى قال له سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، يا أمية ، ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ اى إلى اى وقت يدوم هذا العذاب ، فألقى أمية باللائمة على أبى بكر رضى اله عنه قائلا له : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى ، فلا يتردد أبو بكر الصديق فى العمل على تخليصه ويقول لأمية ، عندى غلام أسود أجلد منه ، وأقوى ، على دينك أعطيكه به فيقول ، أمية : قد قبلت ، فيعطيه سيدنا أبو بكر الغلام الذى عنده ويأخذ بلالا فيعتقه على الفور لوجه الله تعالى .

ويتساءل المرء لقد كان بلال عند أمية فكان أمية يذيقه العذاب لأنه ليس على دينه ، وكان الغلام الآخر عند سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فهل أكرهه سيدنا أبو بكر على ترك دينه والدخول فى الإسلام ، كلا والله بل كان يحسن إليه غاية الإحسان رغم أنه على الكفر والشرك ، وهذا يبين لنا سماحة الإسلام وسماحة أتباعه ومراقبتهم لله عز وجل .

أما الأمر الثانى فى هذا النص ، فنرى فيه ما أصاب عمار بن ياسر وأمه وأبوه ، أما أمه السيدة سمية رضى الله عنها فقد استشهدت عندما طعنها أبو جهل عليه لعنة الله فى ملمس العفة منها ، وأما أبوه فقد مات من شدة التعذيب ، وأما عمار بن ياسر رضى الله عنهما فإننا نرى كيف شمله النبى صلى الله عليه وسلم بعطفه ورحمته حين جاء يبكى فيقول له : ما وراءك ؟ قال : شر ، يا رسول الله ، نلت منك - اى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بما لا يليق أن يذكر به - وذكرت آلهتهم بخير ، فيترفق به النبى صلى الله عليه وسلم قائلا له : كيف وجدت قلبك ؟ ،

(1) ينظر كتاب السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة ، ١/٣٥٤/٣٥٥/٣٥٦/٣٥٧ .

قال : مطمئنا بالإيمان ، فيمسح النبى صلى الله عليه وسلم عينى ياسر بيده الشريفة ويقول له : " إن عادوا لك فعد لهم بما قلت " وصدق الله العظيم إذ يقول فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " .

ولم يكن تعذيب المؤمنين قاصرا على يد هؤلاء الذين ذكروا وإنما كان المشركون بصفة عامة ينالون من المسلمين ويعذبونهم حتى ألجأوهم إلى الهجرة إلى الحبشة أولا ثم إلى المدينة المنورة ثانيا وقاتلوا المسلمين المرة تلو المرة ، ومع ذلك فإن دين الإسلام ما كان فى يوم من الأيام متعطشا إلى الدماء بل الواقع الصادق والذى لا ينكر أنه رغم ما ارتكبه المشركون من فظائع فى حق المسلمين ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من قريش ومن أهل مكة ، بعد أن فتحت مكة فى العام الثامن من الهجرة خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله الذى صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقال: يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال صلى الله عليه وسلم : والله لا أقول اليوم إلا ما قال أخى يوسف لأخوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)[1] ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين أخرجوه من مكة وحاربوه هو وأصحابه .

وهناك موقف آخر يجب ألا يفوتنا التنبيه عليه وهو أن هدف رسالة الإسلام إنما هو إنقاذ الناس وهدايتهم إلى طريق الحق وذاك هو ما كان يرجوه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يقبل حين عرض عليه إهلاك قومه أن يهلكهم الله تعالى بل دعا لهم بالهداية رغم ما تعرض له من الأذى .

أخرج الإمام مسلم رحمه الله بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على أبن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب

(١) الآية (٩٢) من سورة يوسف .

، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلم على ، ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت ؟ ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[1] .

وهذا الحديث النبوى الشريف يبين لنا ما تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق وجميل الصفات ، والعفو والصفح عمن أساء إليه بل واعتدى عليه مثل ما فعل أهل الطائف كما ذكرت كتب السيرة فإنهم لم يكتفوا بعدم استجابتهم لدعوته لهم صلى الله عليه وسلم بل سلطوا عليه ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمون عراقيبه بالحجارة حتى دميت عقباه ، وتلطخت نعلاه وسال دمه الذكى على أرض الطائف ، وزيد بن حارثة مولاه يدرأ عنه ويدفع حتى أصيب فى وجهه بشجاج ، وما زالوا بهما حتى الجأوهما إلى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

وقد توجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى ربه بهذا الدعاء الذى يفيض إيمانا ويقينا ، ورضى بما ناله فى الله واسترضاء لله عز وجل فقال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رواه ابن إسحاق [2] .

ومع ما أصاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولاه زيد بن حارثة من أذى أهل الطائف فإنه صلى الله عليه وسلم ، لم يرض نزول العذاب بهم بل كان كل ما يرجوه أن يجعل الله منهم ذرية تؤمن بالله عز وجل ،

(١) يراجع صحيح مسلم ٧٨٥/٢ كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ط المكنز الإسلامى .

(٢) ينظر السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٤١٥/١ ، ٤١٦ .

إذا أصروا هم على عنادهم وكفرهم وهذا ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشوك به شيئا " كما يدل أيضا على أنهم كانوا فى عنادهم وكفرهم مثل أهل مكة وزيادة .

وإذا كان هذا هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين آذوه وبالغوا فى إيذائه ، ولم يؤمنوا بالله عز وجل ، موقف العفو والصفح عنهم بعد أن أمكنه الله منهم ، فإن هذا يوضح لنا معنى قول الله عز وجل (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[١] .

فما ثبت مطلقا أن النبى صلى الله عليه وسلم ، او الصحابة من بعده قد أكرهوا أحدا على الدخول فى الإسلام ، خاصة وهم يقرءون آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم-الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[٢] .

ولهذا فإنه بعد أن عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة الذين لم يدخلوا فى الإسلام بعد ، قائلا لهم : " والله لا أقول اليوم إلا ما قال يوسف لأخوته " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " أذهبوا فأنتم الطلقاء ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ، كررها ثلاث مرات ليؤكد لهم عفوه عنهم وليسمعها الدانى والقاصى منهم ، وما أن رأى المشركون من أهل مكة هذا الموقف النبيل ، وهذا الخلق العظيم من النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين كانوا يتوقعون أن يفتك بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد أن أمكنه الله منهم ، وبعد أن صدر منهم من الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لا يعلم قدره وحدوده إلا الله لهذا فإنه ما أن عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا طائعين مختارين ، لا مكرهين او مجبرين ، ونزل قول الله عز وجل (إذا

---

(١) الآية (٩٩) من سورة يونس .
(٢) الآيتان (٢٥٦،٢٥٧) من سورة البقرة .

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ-وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا-فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)[١] .

وإذا كان هذا هو منهج الإسلام فى دعوة غير المسلمين إلى الإيمان بالله والذى أشارت إليه بعض الآيات مثل قوله عز وجل (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٢] ، وقوله تعالى (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ-لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)[٣] وقوله تعالى (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٤] .

وقوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ-وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ)[٥] .

ثم يخاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول له (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٦] .

أقول : هذا هو منهج الإسلام الذى رسمه القرآن الكريم والذى سار على هديه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك سببا فى أن فهم الناس أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يبغى ملكا ، ولا يشتهى جاها ، وإنما هو رحمة من الله تعالى لجميع خلقه كما بين الحق تبارك وتعالى فى قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[٧] .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقف هذه المواقف السامية من أعدائه ومعانديه ، فكيف بموقفه من أصحابه وأحبائه ومطيعيه؟! ، لقد بين الله عز وجل حال نبيه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فقال سبحانه (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

---

(١) سورة النصر .
(٢) الآية (١٢٦) من سورة النحل .
(٣) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة الغاشية .
(٤) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة .
(٥) الآيتان (٩٩،١٠٠) من سورة يونس .
(٦) الآية (٥٦) من سورة القصص .
(٧) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

القلبِ لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[1] .

وقال تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)[2] .

وقال تعالى (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ-وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3] .

---

(١) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .
(٢) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .
(٣) من الآية (٦٢) وآية (٦٣) من سورة الأنفال .

الفصل الثانى

وفيه عده مسائل:

١- نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم وكيف دعا إلى الله عز وجل.
٢- بعض المواقف التى تتجلى فيها رأفة النبى صلى الله عليه وسلم ورحمته بالأمة، وتبين يسر الإسلام وسهولته .
٣- إحساس النبى صلى الله عليه وسلم بأحوال المسلمين والتخفيف عنهم.
٤- النبى صلى الله عليه وسلم لا يحب تشدد المسلمين على أنفسهم.
٥- مواقف شديدة وتيسير النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين فيها.
٦- وصية النبى صلى الله عليه وسلم بالنساء والإقرار بحقوقهن.
٧- رأفة النبى صلى الله عليه وسلم بكل شئ حتى البهائم.

الفصل الثانى : وفيه عدة مسائل

١- نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم وكيف دعا إلى الله عز وجل

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى أمة أمية أوجز الله عز وجل تاريخها فى قوله سبحانه (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[١] ، فبين الله عز وجل فى هذه الآية أن أمة العرب كانت أمة أمية ، وأنهم كانوا يعيشون فى ضلال مبين ، وقد بين الله تعالى فضله ونعمته وامتنانه على هذه الأمة فقال سبحانه (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[٢] .

وقد كانت هذه الأمة شرازم متفرقة ، ولهم عاداتهم وطباعهم الخاصة بهم ، وهى طباع جافة غليظة عند الغالبية العظمى منهم ، وندر من تجده سمحا او ذا لين فى معاملته ، لذا كانت مهمة النبى صلى الله عليه وسلم صعبة للغاية ، وقد أشار الإله عز وجل إلى صعوبتها فى قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)[٣] ، وليس المقصود بهذه الآية أن القرآن يصعب على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون حفظه فإن الله تعالى قد يسر حفظه واستذكاره فقال سبحانه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[٤] ، وإنما يبين الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ما سيتحمله من مشقة فى سبيل تبليغ دعوته وقد لمس أهل البادية الذين عرفوا بالجفاء والغلظة ، عظيم خلق النبى صلى الله عليه وسلم ، ولين جانبه ، ورأفته ورحمته ، ورفقه بأفراد الأمة فأحبوا النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من حبهم لأنفسهم ، فافتدوه بأرواحهم ، وبآبائهم وأمهاتهم ، وتبدل حال الجفوة والقسوة فيهم إلى رحمة ببركة صحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومحاكاتهم أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما وجد كل ذى هوى فى نفسه لا يتفق ومكارم الأخلاق ما يصرفه ويجعله يقلع

(١) الآية (٢) من سورة الجمعة .
(٢) الآية (١٦٤) من سورة آل عمران .
(٣) الآية (٥) من سورة المزمل .
(٤) الآية (٢٢) من سورة القمر .

عما فى نفسه من شرور وآثام سواء كان من أهل الحضر او أهل البادية ، فصار المسلمون جميعا بعد أن ألف الله بين قلوبهم كمثل الجسد الواحد يشعر كل منهم بسعادة أخيه او تألمه ، فيسعد لسعادته ، ويتألم لألمه كأنهما جسد واحد ، وقد بين النبى صلى الله عليه و سلم ذلك فى أحاديث عدة أخرجها الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم ، فعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " .

كما أخرج هذا الحديث الإمام البخارى ، فى كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى "[١] .

وجاء أيضا فى رواية النعمان بن يشير عند الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجد بالسهر والحمى" وفى رواية ثالثة عن النعمان بن يشير قال : قال رسول الله ﷺ المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله".

فهذه الروايات تبين حال المؤمنين بعضهم مع بعض وكان كل منهم حريصا تمام الحرص على العمل بقول النبى ﷺ والاقتداء به فى كل شئ.

٢- بعض المواقف التى تتجلى فيها رأفة النبى ﷺ ورحمته بالأمة وتبين يسر الإسلام وسهولته.

إن مواقف الرسول الله ﷺ كلها تدل دلالة واضحة على رأفة النبى ﷺ ورحمته بالأمة، كما تبين يسر الإسلام وسهولته لأنه دين يتفق والفطرة البشرية السلمية التى فطر الله الناس عليها وهذه بعض المواقف والأحداث التى تؤكد هذا المعنى:

(١) ينظر صحيح البخارى ٣/ ١٢٣٠ ط المكنز ، وصحيح مسلم ١٠٩٩/٢ ط المكنز ومسند الإمام أحمد ٢٧٠/٤ حديث النعمان بن بسير عن النبى صلى الله عليه وسلم .

١- أخرج أصحاب الكتب الستة ، والإمام مالك فى موطنه، والإمام الدارمى فى سننه ، واللفظ هنا لأبى داود بسنده عن سعيد به السبب عن أبى هريرة أن أعرابيا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلى، قال ابن عبده : وهو من رجال سند الحديث – ركعتين ، ثم قال: اللهم ارحمنى ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبى ﷺ لقد تحجرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد فأسرع الناس إليه فنهاهم النبى ﷺ ، وقال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، صبوا عليه سجلا من ماء أو قال ذنوبا منماء.

وجاء فى رواية الإمام ابن ماجة كيف عامله النبى ﷺ فيروى بسنده عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: دخل أعرابى المسجد، ورسول الله ﷺ جالس، فقال: اللهم اغفر لى ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال: لقد احتظرت واسعا، ثم ولى حتى إذا كان فى ناحية المسجد فشج يبول فقال الأعرابى بعد أن فقه ، فقام إلى بأبى وأمى، فلم يؤنب ولم يسب، فقال: إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بنى لذكر الله وللصلاة، ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله.

وقد أورده الإمام البخارى رحمه الله فى كتاب الوضوء تحت ثلاثة أبواب باب ترك النبى ﷺ والناس الأعرابى حتى فرغ من بوله فى المسجد وباب صب الماء على البول فى المسجد، وباب يهريق الماء على البول وذكره فى كتاب الأدب –من صحيحه– باب قول النبى ﷺ : يسروا ولا تعسروا، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس والحديث الذى أخرجه فى كتاب الأدب رواه عن عبيد الله بن عبد الله بن عقبة أن أبا هريرة أخبره أن أعرابيا بال فى المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[1]. أى أريقوا على موضع البول دلوا من ماء.

[1]- الحديث أخرجه كل من:
البخارى: فى المواضع التى ذكرتها عند الكلام على الحديث وينظر صحيح البخارى ٥٠/١ و١٢٤٩/٣ ط المكنز الإسلامى.

والذى يتأمل هذه الحادثة يرى جفاء من الأعرابى لأنه كان قريب عهد بالإسلام فلم يعلم أن التعميم فى الدعاء أفضل، ولم يعلم أن المساجد تصان عن مثل هذا. ويظهر جفاء الأعرابى فى موقفين، وتوجيه النبى الكريم له ﷺ:

الأول: عندما قال: اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، أو :اللهم اغفر لى ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا. فيرد عليه النبى ﷺ قائلا له: "لقد تحجرت واسعا" أى ضيقت من رحمة الله ما وسعه، ومنعت ما أباحه، وخصصت به نفسك دون غيرك، وذكر بصيغة التفعيل "تحجرت" إشارة إلى أنه قد تكلف فى هذا الدعاء الذى خصص به نفسه.

الثانى: عندما قام وبال فى المسجد على مرأى من النبى ﷺ الله عليه وسلم وصحابته الكرام حتى هم الصحابة ﷺ الله عنهم أن يقعوا به، وأسرع الناس إليه ليمنعوه وفى رواية للبخارى فزجره النلس، وأخرى فثار إليه الناس، ولكن النبى ﷺ ينهاهم عن أن يقطعوا على الرجل بولته ويبين لهم خاصية هذه الأمة بقوله ﷺ لهم "فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين".

وقد أنكر الصحابة على هذا الأعرابى هذه المخالفة، وهذا أمر جائز شرعا ولكن النبى ﷺ الله عليه وسلم بين لهم أنه يطلب الرفق بالجاهل، خاصة وأن الأعرابى كان حديث عهد بالإسلام.

وقد جاء فى شرح هذا الحديث ما يوضح لنا حكمة النبى ﷺ ، ورأفته ورحمته بالأمة، وبيان شاف لخاصية هذه الأملة حيث جاء فى

مسلم: من عدة طرق، فى كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فى المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها. ١٣٣/١ طـ المكنز الإسلامى.
أبو داود: فى كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول ٦٧/١ ط المكنز.
الترمذى: فى كتاب الطهارة، باب ما جاء فى البول يصيب الأرض ٤٦/١ ط المكنز.
النسائى: فى كتاب الطهارة،باب ترك التوقيت فى الماء ٩/١ ط المكنز.
ابن ماجة: فى كتاب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ٧٨/١ ط المكنز.
الإمام مالك: فى كتاب الطهارة، ما جاء فى البول قائما ٦٤/١ ط الحلبى القاهرة.
الدارمى: فى كتاب الوضوء، باب البول فى المسجد.

شرح هذا الحديث فى كتاب "المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبى داود" للإمام الجليل الشيخ محمود محمد خطاب السبكى، المتوفى عام ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م ما يلى: (قوله فنهاهم النبى ﷺ) أى نهاهم عن منعهم له لأنهم لو منعوه لدار أمره بين شيئين، إما أن يقطع بوله فيتضور بانحباس بوله فيه، وإما أن لا يقطعه فينجس ثوبه وبدنه، وتنتشر النجاسة فى المسجد، وكلا الأمرين أحق بالمنع من إتمام بوله.

وقوله "إنما بعثتم ميسرين" بالبناء للمجهول، أى مسهلين على الناس فى الإرشاد طبقا للوارد عن الشارع، وأسند البعث إليهم عن طريق المجاز لأنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسم هو المبعوث، لكنهم لما كانوا فى مقام التبليغ عنه فى حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك إذ هم مبعوثون من قبله بذلك أى مأمورون، وكان ديدنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن يقول لمن أرسله إلى جهة من الجهات يسروا ولا تعسروا.

وقوله: "ولم تبعثوا معسرين" أى لم تبعثوا مشددين بإرشادكم على خلاف الوارد، وهو تأكيد لقوله بعثتم ميسرين، وفائدته بعده الدلالة على أن الشرع جاء باليسر قطعا[١].

ويتحدث الأعرابى بعد ذلك عن أخلاق رسول الله ﷺ العظيمة، وعن رأفته ورحمته فيقول: فقام إلى- أى قام إليه رسول الله ﷺ، وذلك بعد أن فرغ الأعرابى من بولته ليعلمه أمر دينه فى رفق ورحمة ولين، حتى أن الأعرابى قال: فقام إلى بأبى وأمى، أى أفديه بأبى وأمى، فلم يؤنب، أى لم يؤنبه على فعله، ولم يسب، أى لم يسبه رسول الله ﷺ ولم يشتمه، وإنما قال له ﷺ إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بنى لذكر الله والصلاة، وقراءة القرآن.

وهكذا تعلم الرجل الأعرابى أمر دينه وفقه فيه، فى لين ويسر ومعاملة حسنة له من النبى ﷺ ، وصدق الله العظيم "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"[٢].

١- ينظر المنهل العذب المورود ٣/٢٥٦/٢٥٧ مطبعة الاستقامة.

٢- الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

٢- الحادثة الثانية، أو الموقف الثانى الذى أغضب الصحابة ممن طلب السماح له بفعل الفاحشة، وهو مطلب يخالف أمر الشارع الحكيم ولا يليق بمسلم أن يطلب مثل هذا المطلب من رسول الله ﷺ ولكنه النبى ﷺ يعالج مثل هذا الموقف بحكمته وموعظته الحسنة، وينمى فى هذا الشاب الذى جاء يطلب ذلك، فطرته السليمة ويستحثها حتى لا يفكر فى الأمر مرة ثانية، كل ذلك يعالجه النبى ﷺ بلين ورأفة ورفق ورحمة منقطعة النظير، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده من "حديث أبى أمامة الباهلى الصدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم" هذا الحيث الذى يدل على هذه الحادثة وكيف عالج النبى صلى الله عليه وسلم هذا الموقف فعن أبى أمامة رضى الله عنه: أن فتى شابا أتى النبى صلى الله عليه وسم فقال: يا رسول الله، إئذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: الله اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ[١].

وبالنظر والتأمل فى لفظ الحديث تتضح لنا عدة أمور، هى:

أ- أن هذا الفتى الذى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم كان شابا قويا قويت عنده الشهوة، وأنه لا يستطيع مغالبتها أو كبح جماحها، فجاء يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له فى الزنا وفعل الفاحشة.

ب- أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد ساءهم هذا الكلام وذلك المطلب الذى طلبه ذلك الشاب، ولذلك أقبلوا عليه يزجرونه، ويطلبون منه السكوت والصمت، ويقولون له: مه مه، أى اسكت،

١- ينظر مسند الإمام أحمد ٥/٢٥٦/٢٥٧.

فى حين أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزجره، وإنما قال له: أدنه، أى اقترب منى، فدنا الشاب منه قريبا وجلس.

ج- أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ هذا الحوار المقنع مع هذا الشاب فى لين ورأفة ورحمة وفطانة ليعالج ما فى نفس هذا الفتى، وليعود الفتى إلى فطرته السليمة، بعد هذا الحوار البديع المقنع، حين سأله قائلا له: أتحبه-أى الزنا- لأمك؟ أفتحبه لابنتك؟ أفتحبه لأختك؟ أفتحبه لعمتك؟ أفتحبه لخالتك؟ كل ذلك والشاب يجيب، لا والله جعلنى الله فداءك. فيوضح له النبى صلى الله عليه وسلم طبيعة الفطرة البشرية السليمة التى تتوافق مع الشرع الحكيم ويقول له: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ولا الناس يحبونه لبناتهم، ولا الناس يحبونه لأخواتهم، ولا الناس يحبونه لعماتهم، ولا الناس يحبونه لخالاتهم ثم يضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على هذا الشاب ويدعو له قائلا: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه.

ثم يقول رواى الحديث لم يكن الشاب بعد ذلك- أى بعد تعليم النبى صلى الله عليه وسلم إياه، ودعائه له- يلتفت إلى شئ.

وهكذا عالج الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الموقف بحكمته وفطانته.

٣- **الحادثة الثالثة**، أو الموقف الثالث، وهو الذى يتعلق بقضاء الدين وكان النبى صلى الله عليه وسلم خير الناس وأحسنهم قضاء، يروى الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الوكالة، باب الوكالة فى قضاء الدين، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ثم قال: أعطوه سنا مثل سنه، قالوا: يارسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاء.

ومع أن الرجل جاء مغلظا القول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هم الناس به إلا أنه حين رأى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لأصحابه دعوه فإن لصاحب الحق مقالا، ثم توفيته حقه بأفضل مما أخذ منه رجع ولسانه يلهج بالثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الرواية التى وردت فى الباب الذى قبل هذا الباب مباشرة، وهو باب وكالة الشاهد والغائب جائزة... إلى آخره، والحديث أيضا

مروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان لرجل على النبى صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال: أعطوه، فطلبوا سنه فلم يجدوا له إلا سنا فوقها، فقال أعطوه، فقال: أوفيتنى أوفى الله بك، قال النبى صلى الله عليه وسلم إن خياركم أحسنكم قضاء.

وقد ورد هذا الحديث بأكثر من رواية عند الإمام البخارى فى صحيحه ففى "كتاب فى الاستقراض، باب استقراض الإبل" عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له، فهم أصحابه، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فأعطوه إياه، وقالوا لا نجد إلا أفضل من سنه قال: اشتروه فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاء.

وفى باب هل يعطى أكبر من سنه، يروى الإمام البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه بعيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوه، فقالوا ما نجد إلا سنا أفضل من سنه، فقال الرجل: أوفيتنى أوفاك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوه، فإن من خيار الناس أحسنهم قضاء.

وفى باب حسن القضاء، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان لرجل على النبى صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاء يتقاضاه فقال صلى الله عليه وسلم: أعطوه، فطلبوا سنه فلم يجدوا له إلا سنا فوقها، فقال: أعطوه، فقال أوفيتنى وفى الله بك، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إن خياركم أحسنكم قضاء"[1].

والحديث أخرجه أيضا الإمام مسلم فى كتاب المساقاة ، باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه وخيركم أحسنكم قضاء، وذلك من ثلاث طرق، كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده- مسند أبى هريرة رضى الله عنه والروايات كلها متقاربة.

وهكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، عفوا وصفحا عمن أساء إليه أو أغلظ فى القول له، وحسن قضاء لكل من تعامل معه، وعلم صلى الله عليه وسلم الصحابة ونبههم إلى هذا الخلق العظيم وهو حسن القضاء بقوله صلى الله عليه وسلم لهم "فإن خيركم أحسنكم قضاء".

---

[1]- يراجع صحيح البخارى ٤٢٩/١ و ٤٤٦ و ٤٤٧ ط المكنز الإسلامى.
وصحيح مسلم ٦٨٤/٢ ط المكنز الإسلامى
ومسند الإمام أحمد ٤٥٦/٤١٦/٢.

٣- إحساس النبى صلى الله عليه وسلم بأحوال المسلمين والتخفيف عنهم:

جاءت السنة النبوية المطهرة لتبين لنا إحساس النبى صلى الله عليه وسلم بمن حوله من المسلمين فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يراعى كل من حوله ويرعاه فلا يشق عليهم فى أمر، ويأمر المسلمين أيضا بذلك رأفة منه ورحمة بأفراد الأمة، وقد تجلى ذلك فى كل ما يتعلق بالعبادات فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالمسلمين خفف فى صلاته، مع تمامها يروى الإمام البخارى رحمه الله فى كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبى، عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبى صلى الله عليه وسلم وإن كان ليسمع بكاء الصبى فيخفف مخافة أن تفتن أمه.

ويروى قتادة أن أنس بن مالك حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنى لأدخل الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه.

وفى رواية ثانية لقتادة عن أبيه أبى قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه.

وعندما شكا أحد المسلمين إمامه للنبى صلى الله عليه وسلم بسبب تطويله الصلاة غضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا من فعل الإمام وتصرفه، وقد ترجم الإمام البخارى لهذا بقوله "باب من شكا إمامه إذا طول، وقال أبو أسيد طولت بنا يا بنى" ثم أورد حديث أبى مسعود فقال:

عن أبى مسعود قال: قال رجل يا رسول الله إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيته غضب فى موضع كان أشد غضبا منه يؤمئذ، ثم قال: ياأيها الناس، إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف، والكبير، وذا الحاجة.

وقد وجه النبى صلى الله عليه وسلم معاذا حين أطال فى صلاة العشاء فقرأ بسورة البقرة مما ألجأ رجلا متعبا أن ينطلق دون إتمام الصلاة معه أن عليه أن يقرأ "سبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها،

والليل إذا يغشى، وذلك مراعاة لحال من خلفه من الناس، فعن محارب بن دثار قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذا يصلى، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا معاذ أفتان أنت أو فاتن ثلاث مرار، فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذا الحاجة.

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه ما يزيد الأمر وضوحا وهو أن الإمام إذا صلى بالناس خفف فى صلاته مراعاة لحالهم وإذا صلى وحده فليطل كما شاء، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء.

ويروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى أحاديث عدة تتوافق تماما فى معناها مع ما رواه الإمام البخارى، وقد بين رحمه الله ما كان يقرأ به النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع بكاء الصبى فيقول: عن ثابت البنانى عن أنس، قال أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبى مع أمه وهو فى الصلاة فيقرأ بالسور الخفيفة أو بالسور القصيرة.

كما أخرج هذه الأحاديث الإمام أبو داود فى كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة للأمر يحدث، وباب فى تخفيف الصلاة.

والترمذى، فى كتاب الصلاة، باب ما جاء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنى لأسمع بكاء الصبى فى الصلاة فأخفف.

والنسائى، فى كتاب الإمامة، باب ما على الإمام من التخفيف، وابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من أم قوما فليخفف، وباب الإمام يخفف الصلاة إذا حدث أمر[1].

وهكذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فى حال المسلمين جميعا حتى أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبى فيخفف فى صلاته حتى أنه كان يقرأ

---

[1]- ينظر: صحيح البخارى ١٤٧/١٣٦/١، وصحيح مسلم ١٩٤/١ وسنن أبى داود ١٣٦/١، وسنن الترمذى ٧٠/١ وسنن النسائى ١٣٣/١٣٢/١، وسنن ابن ماجه ١٤٣/١٤٢/١.

بالسور القصيرة كراهية أن يشق على أمه ومخافة أن تفتن، ثم نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء إليه أحد الصحابة يشكو له سيدنا معاذ بن جبل، يقول لمعاذ رضى الله عنه أفتان أنت يا معاذ ويكررها ثلاث مرات، ويبين له ما يقرؤه فى صلاة العشاء، وكلها من قصار المفصل، وحين شكا رجل آخر أن الإمام يطيل بهم فى صلاة الصبح حتى اضطر الرجل إلى الصلاة فى بيته، وكان لا يخرج إلى مسجد قومه للصلاة مع الجماعة، غضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال "أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة".

وجاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه "وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"، هذا هو المنهج القويم الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل من صلى إماما بالمسلمين.

٤- النبى صلى الله عليه وسلم لا يحب تشدد المسلمين على أنفسهم:

وكما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل تشدد بعض الصحابة عندما يصلون بالمسلمين، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يرض ولم يقبل التشدد فى جميع أنواع العبادة من أفراد المسلمين الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم ونلمس هذا فيما أخرجه البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح لقوله تعالى "فانكحوا ما طب لكم من النساء" فعن حميد بن أبى حميد الطويل، أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنى فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى[1].

[1]- ينظر صحيح البخارى ١٠٦٢/٣ ط جمعية المكنز الإسلامى.

وهكذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى تماما التشدد فى أمر الدين ويبين صلى الله عليه وسلم أنه أخشى الناس لله وأتقاهم له ولكنه صلى الله عليه وسلم يأخذ جانب الاعتدال فى كل شئ فهو صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر، ويصلى ويرقد، ويتزوج النساء وتلك سنته الحسنة الحميدة التى يجب على كل مسلم أن يلزمها، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن وضح هذه الأمور لهؤلاء الثلاثة، ولغيرهم من المسلمين، قال "فمن رغب عن سنتى أى طريقتى وهديى فليس منى".

فنرى هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل من هؤلاء الثلاثة أن يشددوا على أنفسهم بدعوى أنهم ليسوا مثل الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبين لهم أن أفضل سبيل فى العبادة هو ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بل إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل من صاحب الجلد والقوة أن يشدد على نفسه أخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى فى كتاب الصيام، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حقا، أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وذلك من خمسة عشر طريقا، أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه يقول لأقومن الليل، ولأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت الذى تقول ذلك؟ فقلت له قد قلته يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر، قال قلت فإنى أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر يومين، قال: قلت فإنى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك، قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من أهلى ومالى"[1].

وجاء فى بعض الروايات عند مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: فإن لزوجك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا،

[1]- يراجع صحيح مسلم ٤٦٣/٤٦٢/٤٦١/٤٦٠/٤٥٩/١.

قال: فشددت فشدد على، قال وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم: إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمر، قال: فصرت إلى الذى قال لى النبى صلى الله عليه وسلم فلما كبرت، وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله صلى الله عليه وسلم".

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص هذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهه إلى أن عليه حقوقا يجب ألا يهملها، فإلى جانب حق الله تعالى فإن لزوجه عليه حقا، ولضيفه عليه حقا، ولجسده عليه حقا، فيجب عليه أن يراعى هذه الحقوق.

ولما كان سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاصر رضى الله عنهما قد أخذ على نفسه عهدا أن يصوم يوما ويفطر يوما فقد اشتد الأمر عليه حين كبر سنه، ولهذا قال: "لإن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من أهلى ومالى، فصلى الله وسلم على من أرسله رحمة للعالمين.

٥- مواقف شديدة وتيسير النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين فيها:

لما كان الحج إلى بين الله الحرام فيه من المشقة ما فيه، وفيه الشعور بلذة الطاعة وحلاوة الإيمان، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا حريصين كل الحرص على أداء هذا النسك على الوجه الأكمل خاصة وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم "خذوا عنى مناسككم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى هذا الموقف أبدا".

فكان كل منهم حريصا على أداء النسك كما يؤديه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قد يسهو الإنسان وقت أداء النسك، فيؤدى شيئا قبل شئ وهذا ما حدث لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى يسألونه فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إنى لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذبح ولا حرج، وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى، قال ارم ولا حرج، قال فما سئل يومئذ عن شئ قدم أو أخر إلا قال: اصنع ولا حرج.

وعن أسامة بن شريك قال: خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم حاجا فكان الناس يأتونه، فمن قال يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف، أو قدمت شيئا أو أخرت شيئا، فكان يقول: لا حرج لا حرج إلى على رجل اقترض عرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذى حرج وهلك[١].

ومعنى: "لا حرج لا حرج" أى لا إثم إلا على رجل اقترض أى اقتطع عرض مسلم ونال منه بالطعن فيه والسب والإيذاء وهو ظالم، ويعتبر قوله صلى الله عليه وسلم "وهو ظالم" احترازا عن جرح الرواة والشهود، فإنه ليس ظلما بل هو مباح لبيان الحقيقة، فذلك الشخص الذى حرج وهلك، أى وقع فى الحرج والهلاك، وفى ذلك تنفير وتحذير من طعن المسلم وإيذائه بالغيبة ونحوها.

وكل مسلم يرى فى هذا يسر الإسلام وسهولته فرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى لا ينطلق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، يقول لكل من سأله افعل ولا حرج ولو أن المسلمين عرفوا وفهموا مثل هذه الأحكام لأدوها بيسر وسهولة ودون عناء كثير فيشعروا بلذة الطاعة والعبادة التى يؤدونها، ويتجنبوا كثيرا من المشقة التى تحدث لهم.

٦- وصية النبى صلى الله عليه وسلم بالنساء والإقرار بحقوقهن:

أخرج الإمام البخارى رحمه الله فى كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة".

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإنه أعوج شئ فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء"[٢].

وهذا الموقف النبيل الذى وقفه الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة أم هانئ بنت أبى طالب يوم فتح مكة يبين لنا احترام الإسلام للمرأة

١- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وحديث أسامة بن شريك أخرجهما أبو داود فى سننه، كتاب المناسك باب فيمن قدم شيئا قبل شئ فى حجة ١/٣٤٢/٣٤٣- كما أخرج حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، الإمام الدارمى فى سننه، كتاب المناسك، باب فيمن قدم نسكه شيئا قبل شئ، ٢/٦٤/٦٥ وجاء فى لفظ الحديث: قال عبد الله: أنا أقول بهذا وأهل الكوفة يشددون كما أخرجه ابن ماجة فى كتاب المناسك باب من قدم نسكا قبل نسك ص ٤٤٥/٤٤٦ (٥٩) ينظر كتاب فتح الملك المعبود لفضيلة الشيخ أمين محمود خطاب ٢/١٩٧.

٢- ينظر صحيح البخارى ٢/٦٤٩ ط المكنز.

والإقرار بحقها، فقد روى الإمام أبو داود رحمه الله تعالى فى كتاب الجهاد، باب فى أمان المرأة.

عن عبد الله بن عباس قال: حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أنها أجارت رجلا من المشركين يوم الفتح فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز[1].

وفى هذا الفعل منتهى التقدير والاحترام للمرأة وتصرفها، وقد أجارت أيضا السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاصى بن الربيع قبل إسلامه حين جاء مستجيرا بها.

وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم جوارها له، وقال صلى الله عليه وسلم للسيدة زينب ابنته "قد قبلنا جوارك ولكن لا يخلصن إليك بشئ فإنك لا تحلين له" وقال "وإنما يجير من المسلمين أدناهم".

٧- رأفة النبى صلى الله عليه وسلم بكل شئ حتى البهائم:

أمتن الله عز وجل وتفضل على خلقه جميعا بإرسال النبى صلى الله عليه وسلم فكان إرساله رحمة للعالمين، ولفظ العالمين يشمل كل خلق لله عز وجل والله تعالى هو رب العالمين، وقد شملت رحمة النبى صلى الله عليه وسلم كل خلق الله حتى البهائم التى لا تعقل، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفمه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا؟ فقال: فى كل ذات كبد رطبة أجر.

وعن أبى سليمان مالك بن الحويرث قال: أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أننا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا فأخبرناه، وكان رفيقا رحيما،

[1]- ينظر سند أبى داود ٤٧٥/٢ ط المكنز.

فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتمونى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم[1].

فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لهم فى كل كبدة رطبة أجر من الله سبحانه وتعالى، ووصف مالك بن الحويرث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان رفيقا رحيما ولهذا عندما ظن صلى الله عليه وسلم أنهم قد اشتاقوا إلى أهلهم أمرهم بالرجوع إليهم، وطلب منهم أن يعلموهم أمور دينهم وأن يأمروهم بطاعة الله، وأن يصلوا كما رأو رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى، وإذا حضرت الصلاة أذنوا، وأمهم فى صلاتهم أكبرهم.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقا رحيما كما ذكر مالك بن الحويرث رضى الله عنه.

وبعد ..

فهذه النصوص التى أوردتها إنما أردت أن أوضح بها منهج النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله، وأن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وأن تجديد هذا المنهج إنما يحتاج إلى فهم صحيح لأحكام الدين وتعليمه الناس فى يسر وسهولة وإخلاص لله عز وجل وأن على كل من أعطاه الله شرف الانتساب إلى الدعوة إلى الله أن يتعلم أولا، وأن يتفقه فى أمر دينه حتى تثمر دعوته.

[1]- ينظر صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٢٣٠/٣ ط المكنز الإسلامى.

الخاتمة

وتشتمل على:

١- تحديث الدعوة وأهم ما يجب مراعاته فى هذا الجانب.

٢- أهم نتائج البحث.

٣- أهم مراجع البحث

الخاتمة

تحديث الدعوة وأهم ما يجب مراعاته فى هذا الجانب:

إن تحديث الدعوة معناه، أن تواكب الدعوة العصر الذى تكون فيه وتتلاءم معه، والعصر الذى نعيشه الآن أصبحت الأرض كلها كقرية صغيرة ومن هنا كان لزاما على علماء المسلمين أن تصل دعوتهم إلى جميع الآفاق وهذا يتطلب عدة أمور لابد من تحقيقها وهى:

أولا: إعداد الدعاة من الناحية العلمية إعدادا جيدا بحيث يكون الداعية على علم بمقاصد الشريعة وأهدافها.

ثانيا: العمل على تفعيل اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار بين خريجى الكليات الأزهرية التى يعنى خريجوها بنشر الإسلام حتى يتمكنوا من مخاطبة كل قوم بلغتهم.

ثالثا: العمل على توفير قناة فضائية للإعلام يمكن من خلالها شرح الإسلام شرحا سهلا يفهمه متوسطوا الثقافة من غير عناء أو إجهاد ذهنى مما يتيح لهم تطبيق هذا الفهم تطبيقا عمليا بكل يسر وسهولة.

ولتحقيق هذه الأهداف العالية والغالية ينبغى على الآباء والأمهات الذين وكل الله إليهم أمر تربية أبنائهم وبناتهم أن يربوهم تربية حسنة مبنية على الخلق الفاضل، والعلم الصحيح النافع والقول الطيب.

والشاعر يقول:

وينشأ ناشئ الفتيان منا... على ما كان عوده أبوه.

كما يجب عليهم أن يبعدوهم عن قرناء السوء، فإن فى ذلك انحسار للشر، وتضييق لدائرته، فيسهل محاربته والتخفيف منه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه عنه أبو موسى الأشعرى:

إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة[1].

---

[1]- الحديث أخرجه كل من البخارى ومسلم واللفظ هنا للإمام مسلم، وقد أخرجه فى كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ينظر صحيح مسلم بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ٢٠٢٦/٤.

وصدق الله العظيم إذا يقول:

"يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"[١].

فطالب المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار، وهذا لا يكون إلا بلزوم الأبناء وإحسان أدبهم فى لين ورفق ورأفة ورحمة كما كان حال النبى صلى الله عليه وسلم مع المسلمين.

١- من الآية ٦ من سورة التحريم.

أهم نتائج البحث

١- أن المقصود بالتجديد والتحديث فى منهج الدعوة هو قيام علماء المسلمين ببيان أحكام الشرع، ومقاصده النبيلة بالأسلوب الأمثل فى الخطاب وبيان الأحكام الشرعية لعامة المسلمين، وعرض الإسلام عرضا يتناسب وسمو ما جاء فيه، حتى يكون ذلك سبيلا إلى إقناع كل من ينظر فى شريعة الإسلام وما ورد فيها من أحكام.

٢- أن الذى يتولى أمر الدعوة لابد أن يكون قدوة حسنة للناس جميعا، بقوله وفعله فيلزم مكارم الأخلاق فى كل أقواله وأفعاله.

٣- إعداد الدعاة للدعوة إلى الله تعالى على مستوى مخاطبة العالم وهذا يستلزم أن يكون هناك متخصصين فى دراسة اللغات حتى يمكن مخاطبة جميع الناس فى شتى بقاع الأرض، حتى يمكن رد الشبهات التى تثار حول الإسلام.

٤- يجب على الداعية أن يلزم جانب اللين والرفق فى دعوته، حتى يكون فى ذلك تأليفا للقلوب وإظهارا لسمو أخلاق المسلمين.

٥- أن الدين الصحيح الخالص هو ما أخذ من المصادر الصحيحة من كتاب الله تعالى وصحيح سنة النبى صلى الله عليه وسلم هذا والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم

١- سنن أبى داود، للإمام سليمان بن الأشعث بن شداد أبى داود السجستانى ط جمعية المكنز الإسلامى ١٤٢١هـ، القاهرة.

٢- سنة الترمذى للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ط جمعية المكنز الإسلامى ١٤٢١ هـ، القاهرة.

٣- سنن النسائى، وهو المجتبى، للإمام أحمد بن شعيب بن على أبى عبد الرحمن النسائى ط جمعية المكنز الإسلامى، ١٤٢١هـ، القاهرة.

٤- سنن الدارمى: للإمام أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى، دار الكتب العلمية بيروت.

٥- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة ط دار الأنوار القاهرة، وط مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

٦- صحيح البخارى، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبى عبد الله البخارى ط جمعية المكنز الإسلامى ١٤٢١هـ، القاهرة.

٧- صحيح مسلم، وهو المسند الصحيح المختصر من السنن ينقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ود أبى الحسين القشيرى النيسابورى، ط جمعية المكنز الإسلامى ١٤٢١هـ، القاهرة.

٨- فتح البارى، بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله بن إسماعيل البخارى، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ط مطبعة الاستقامة، ومطبعة الاعتصام بالقاهرة.

٩- فتح الملك المعبود، تكملة المنهل العذب المورود، شرح سنن أبى داود لفضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكى ط مطبعة الاستقامة والمكتبة المحمودية السبكية ومطبعة الاعتصام بالقاهرة.

١٠- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى دار الكتب العلمية- بيروت.

١١- مختصر من تفسير الإمام الطبرى، لأبى يحيى بن صمادح التجيبى متوفى سنة ٤١٩هـ.

١٢- المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله الحاكم ط النصر الحديثة بالرياض.

١٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ط المكتب الإسلامى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٤- المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ط دار الحديث القاهرة.

١٥- المنهل العذب المورود، شرح سنن الإمام أبى داود لفضيلة الشيخ محمود بن محمد خطاب السبكى مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

١٦- صحيح الإمام مسلم، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ط دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبى.